

الحجاج والبلاغة الجديدة

د. تكتك إكرام

جامعة أدرار

الملخص:

عرفت الدراسات المعاصرة تطورات مهمة، كان من نتائجها بروز نظرية جديدة تعرف بالنظرية الحجاجية، التي يعود الاهتمام بها إلى " بيرلمان " و " تيتكا " Perlman et tyteca سنة 1958 من خلال ظهور أول " مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة " وما يهمننا في هذه الدراسة هو الحجاج في البلاغة، وسنتحدث بإيجاز عن مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح وعلاقته بالبلاغة قديما وحديثا، فمادا نعني بالحجاج البلاغي؟ وماذا يميزه عن غيره من أنواع الحجاج؟

Résume:

les études contemporaines ont des développements importants, les résultats de l'émergence d'une nouvelle théorie dite de la théorie des orbitales, qui remonte à l'attention, "Perlman» et «Tika» Perlman et Tyteca 1958 à l'émergence de la première "classeur dans les pèlerins, la nouvelle rhétorique" Ce qui nous préoccupe dans cette étude pèlerins est dans la rhétorique, et nous allons parler brièvement de la notion de pèlerins dans le langage et la terminologie et sa relation à la rhétorique, passé et présent.

مقدمة:

انبثق موضوع الحجاج من حقول بلاغية ومنطقية ولسانية، والدراسة التي تناولته هي البلاغة الجديدة La nouvelle rhétorique ويمكن تعريفها «نظرية عامة للمحاجة بكل أشكالها (الشرعية والسياسية والأخلاقية والجمالية والفلسفية)»¹. إذا كانت وظيفة الإقناع عند البلاغيين هي وظيفة مضافة إلى وظائف اللغة الإبلابية فإنها تعتبر عند "ديكرو Ducrot" الوظيفة الأولى

¹ - أوزوالد ديكرو، جان ماري شبايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 2007، ص163.

والأساسية، إن موضوع الحجاج حقل تتجاذبه حقول مختلفة كالبلاغة واللسانيات والمنطق، فالبلاغة تتناول كيفية الإقناع في اللغة التي ظهرت " البلاغة الجديدة " مع " بيرلمان " وتيتكا (Perelman et Tyteca) اللذين يركزان على «غاية الحجاج الأساسية وهي الإقناع، أي جعل العقول تذعن وتسلم بما يطرح عليها من الأقوال»¹. والحجاج الناجح هو الذي يجعل المتكلم سامعه يقوم بالعمل المطلوب منه أو يذعن لرأيه. يعد الحجاج من أهم المواضيع التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي، باعتباره مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي توجه إلى المتلقي بغرض، إقناعه والتأثير فيه، وعليه فالحجاج هو " جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفية هي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم الاقتناع " ². تعددت زوايا النظر إلى الحجاج بحسب زاوية نظر الدارسين له؛ فالبلاغة التقليدية نظرت إليه " كمكون من مكونات الخطاب ويتشكل بتشكله وتتغير وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيره " ³. كما تتجلى آثاره في الدراسات التراثية المختلفة وتتعدد بتعدد مجالاتها، غير أنه أصبح في الدراسات الحديثة مجالا خاصا، تضبطه ماهية ومفاهيم خاصة وآليات وتقنيات متعددة أهلتها إلى بلوغ مرتبة النظرية اللغوية القائمة على أسس علمية دقيقة.

ظهر مجموعة من اللغويين في القرن العشرين لدراسة الحجاج والاهتمام به ومحاولة التنظير له. وقد تناولوا ضمن هذا المسعى الأساليب الإجرائية في لغة الحجاج، وتنوع الخطابات ضمن السياقات المقامية المختلفة وغاياتها

¹ - عز الدين الناجح: العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال دراسة تداولية لسورة الإخلاص، مجلة

المجمع الجزائري في اللغة العربية العدد السادس، السنة الثالثة، ذو الحجة 1428 - ديسمبر 2007، ص 166.

² - سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبيها، ص 21، عن مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة - بيرلمان وتيتكا، المطابع الجامعية، ليون، فرنسا، ج1، 1981، ص13.

³ - محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية، دار الثقافة، ط1، المغرب، 2005، ص 14.

واستراتيجياتها، والتي تعد من صميم البحث في المنهج التداولي اللساني. وقد أطلقوا على الدراسات الحجاجية الحديثة مصطلح البلاغة الجديدة، ويرجع الفضل في ذلك إلى " بيرلمان Perelman " وزميله " تيتكاه Tyteca " عند إصدارهما سنة 1958 لمؤلفهما " مصنف في الحجاج - البلاغة الجديدة Traite De L'argumentation Nouvelle Rhétorique، والذي يشمل عنوانين " مصنف في الحجاج " ويحمل إلى عنوانه الكبير المذكور عنوانا فرعيا تفسيريا هو " البلاغة الجديدة "، وكان هذا العنوان إيذانا بدخول الدراسات البلاغية مرحلة جديدة يعنى فيها بدراسة الحجاج " ¹. وقد شكل ظهور هذا الكتاب " فتحا جديدا وأساسيا في عالم الخطابة الجديدة قد مثل نظرة منطقية للحجاج، إذ استأنف بيرلمان تحليل التفاعل بين الباث والمتلقي في الخطاب المكتوب تحديدا وكان حريصا على الظهور بمظهر المنطقي المتمكن من آليات التفكير، لا رجل بلاغة فحسب " ² ومن ثم يعد بيرلمان من منظري النظرية الحجاجية.

فما هو مفهوم الحجاج ؟ وما علاقته بالبلاغة الجديدة ؟

1- مفهوم الحجاج

1-1- الحجاج في اللغة:

الحجاج في اللغة من "حَاجَّ يُحَاجُّ حِجَاجًا". وقد حجه ابن سيده (ت458هـ) بقوله: «حَاجَّجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجًا مُحَاجَّةً مِنْ حَجَّجْتُهُ بِالْحَجِّ الَّتِي أَدْلَيْتُ بِهَا، وَالْحُجَّةُ الْبِرْهَانُ، وَقِيلَ الْحُجَّةُ مَا دُفِعَ بِهِ الْخَصْمُ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْحُجَّةُ الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ الظُّفْرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَجَمَعَ الْحُجَّةَ حُجَجًا وَحِجَاجًا. وَحَاجَّجَهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا نَازِعَةً الْحُجَّةَ، وَحَجَّجَهُ يُحَجِّجُهُ غَلْبَهُ عَلَى حِجَّتِهِ، وَفِي

¹ - محمد ولد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط1، ليبيا، 2004، ص 15.

² - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبها، المرجع سابق، ص 21.

الحديث: «فَحَجَّ آدم موسى»؛ أي غلبه بالحجة، واحتج بالشيء اتخذته حجة. وقال الأزهري: «إنما سميت حجة لأنها تُحجُّ، أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها»¹. فالحجة عند ابن سيده هي البرهان أو سلسلة الحجج التي يستطيع المتكلم أن يفهم بها المتلقي.

أما ابن منظور (ت711هـ) فقد ذكره في معجمه وقال: «حَاجَبْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاباً وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَبْتُهُ؛ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... ويقال حَاجَبَهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاباً نَازَعَهُ الْحُجَّةُ... وقال أنا حَاجَبْتُهُ فَأَنَا مُحَاجُّهُ وَحِجْبُهُ؛ أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان»². فابن منظور هذا حذو ابن سيده في مفهومه هذا ورأى أن الحجة هي البرهان والدليل.

يتضح من خلال ما سبق أن الحجاج يتجلى في الخطابات التي تهدف للإقناع، وغرضه التأثير في المتلقي أو إرغامه على الامتثال لأمر ما والتسليم به، وهو بهذا يؤسس للدفاع عن الأفكار المعروضة من طرف المتكلم، وأنه يتجسد في مجال النسبية لا مجال الأحكام المطلقة والمنطقية. وهو ما كان محور الدراسات اللسانية التداولية لمفهوم الحجاج اللغوي.

1-2- الحجاج في الاصطلاح:

تباينت نظرة الدارسين المعاصرين (العرب والغربيين) لمفهوم الحجاج بحسب تنوع الزوايا التي نظروا إليه: البلاغية واللسانية والفلسفية والأصولية، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من المفاهيم المتعددة التي أثرت حقل الدراسات اللسانية بعامة والحجاجية بخاصة ومن أبرز هذه المفاهيم في العصر الحديث نذكر:

¹ - المحكم والمحيط الأعظم-ابن سيده- تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، دار الكتب العلمية، مادة (حجج).

² - لسان العرب-ابن منظور، لبنان، دار صادر، ط1، المجلد 2، مادة (حجج).

1-2-1 مفهوم بيرلمان Perleman وتيكاه Tyteca للحجاج:

يرى هذان الباحثان أن «موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»¹. فالخطاب الحجاجي عندهما خطاب واعي يركز في أساسه على منتجي الخطاب، وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيفه للآليات الحجاجية المختلفة، إذ أنه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسد بين الباث والمتلقي وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الآخر وإفحامه بحجج منطقية عقلانية.

إن هدف الحجاج حسب " بيرلمان " Perelman هو « دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز التأييد على تنوع كثافته»².

يقول « موضوع نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الهادفة إلى حث النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها، أو تقوية ذلك التسليم، كما تفحص أيضا الشروط التي تسمح بانطلاق الحجاج ونموه، وكذا الآثار المترتبة عنه »³. ويركز "بيرلمان وتيتكا" (Perelman et Tyteca) على التقنيات الخطابية التي تؤدي إلى الإقناع حيث يعرف "بيرلمان" الحجاج بأنه: «دراسة وسائل الحجاج ماعدا تلك التي تنتمي للمنطق الصوري التي يسمح بالحصول أو بزيادة انضمام الآخرين إلى الأطروحات المقترحة لموافقته»⁴ وهذا يعني أن

¹ - الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صوصة، ص27 عن Traité de l'argumentation, p5.

² - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، صفر 1413 هـ أغسطس / آب 1992، ص 74.

³ - محمد العمري: بلاغة الحوار المجال والحدود، مجلة فكر ونقد، ص 8.

⁴ - الحواس مسعودي: النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة، جامعو الجزائر، العدد شعبان 1420، ديسمبر 1999، ص 275.

"بيرلمان" Perleman قد أولى الإقناع عناية هامة، فدور الحجاج يقف عند هدف الإقناع؛ حيث أنّ «أنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو ما وفق في جعل السامعين مهئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة».¹ فقد يكون الإقناع إما بالقول أو بالدفع إلى العمل، سواء بالإقدام أو بالإحجام عنه.

ومفهوم الحجاج عند "بيرلمان" Perleman وثيق الصلة بـ"الفعل التأثيري" أو نفاذ الخطاب والاقتناع الفعلي، فالحجاج «بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان سائدا»² وتتأكد نفاذية الخطاب بحصول الفعل التأثيري ونجاحه وهو الفعل الناتج (المنجز أو لازم فعل الكلام) الذي جاء به "أوستين" Austin ويقصد بنفاذية الخطاب: «التقنيات المعرفية والفكرية وكذا الاجتماعية التي يسعى من خلالها إلى تمرير الخطاب واجتياز الأطر القولية والسمعية إلى الفعل والحدث والتغيير»³، ولإحداث هذا التغيير ينبغي على المتكلم أن يكون مقتنعا بفرضياته المقدمة حتى يحدث التغيير في متلقيه، ويقنعه بأطروحته.

ويستمد الخطاب نفاذيته من تقنيات تجعل الخطاب منسجما مع المخاطبين والشرط الأساسي فيها هم معرفة مستويات المخاطبين، وعلى المحاجج «أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها وكذلك

¹ - محمد ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط1-2004، www.hadaat.com، ص 15.

² - محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة فكر ونقد: الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، يناير- مارس، 2000، ص 57.

³ - محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 63.

على الوعي بنوعيتها، فالاهتمام هنا إذن مركز على الجوانب الاستدلالية التي تستعمل على تعاضد العقول المخاطبة وانسجامها مع الطرح المقدم»¹.

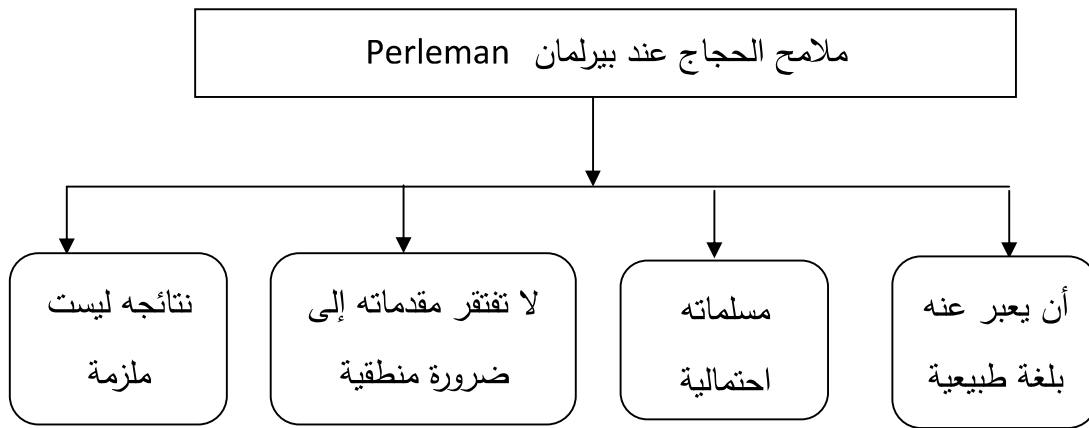
أخذ "بيرلمان" Perleman من بلاغة أرسطو "مفهومي الجدل والخطابة ما يناسب البلاغة الجديدة"، فالحجاج «يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي وإذعانه إذعانا نظريا مجردا لفحوى الخطاب، وما جاء فيه من آراء ومواقف وهو يأخذ من الخطابة الجدل من جهة كسره لثنائية تقليدية وجمعه بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي»². والخطاب الحجاجي لا يكون إلا في الأمور التي تثير الشك وتتطلب جهدا فكريا لتدقيقها، وكشف غموضها هذا الأمر أسهم في إضفاء الطابع العقلي على الحجاج. فالبلاغة الجديدة «ليست معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية؛ بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور»³، حيث يقنع المتكلم مخاطبه برأيه ويجعل حججه حاضرة بين يديه، ومن هنا تخرج البلاغة الجديدة من دائرة الإبهام والتلاعب بالجمهور.

ويطابق "بيرلمان" Perleman بين البلاغة والحجاج، ويمكن تمثيل ملامح الحجاج عنده بالمخطط التالي:

¹ - محمد ولد الأمين، الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع السابق، ص 18.

² - سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع السابق، ص 22.

³ - صابر حباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الإصدار الأول، 2008، ص 16.



مخطط توضيحي لملاح الحجاج عند "بيرلمان" Perleman

ف"بيرلمان" Perleman يركز على بنية الحجاج بدراسة كل الحجج التي يمكن إقامتها للإقناع ويهتم بالطريقة التي يتم بها التواصل مع المجتمع، حيث «يركز الحجاج على الأمور الداخلية في بنيته الموصلة إلى الإقناع كالأمثلة الجاهزة والجمال الوعظية أو الإشارية التي تؤدي هدفا في اللحظة الحجاجية في البنى القولية الخطابية»¹، وتكون بذلك الدراسة الحجاجية التي تهتم بهدف الخطاب والتقنيات الموظفة لتحقيق هذا الهدف والمتمثل في الإقناع والتأثير.

1-2-2- الحجاج عند أنسكومبر J.C. Anscombe و ديكر

:O.Ducrot

حاول كل من أنسكومبر و ديكر O.Ducrot أن يبرزنا لنا مفهوم الحجاج من خلال مؤلفهما "الحجاج في اللغة". وبيننا «أن مصطلحي البلاغة والحجاج عندهما يكتسبان معاني جد مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية»²، وأن الحجاج عندهما يكمن في اللغة وليس فيما يتأسس عليه الخطاب من منطق رياضي أو شكلي أو صوري، خلافا لما هو عند بيرلمان Perleman وتيكا Tyteca. كما يريان أن: «لكثير من الأفعال القولية

¹ - ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان، مرجع سابق، ص 61.

² - L'argumentation dans le discours Ruth Amossy-France- Edition Nathan-2000.p17.

وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى الإخباري¹ فهما يؤكدان أن أي خطاب له وظيفة حجاجية، فالحجاج عندهما يتمثل في «تحقيق عمليين اثنين هما فعل التصريح بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى، سواء أكانت هذه النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من طرف ق*1»². علما أن ق1 تمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق2 ويكون ق2 هذا قولاً صريحاً ضمناً. فالحجاج اللغوي من خلال مفاهيمها عبارة عن خطاب مُبْنِين من طرف المتكلم، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلقة بمجموعة من القضايا تؤدي في الأخير إلى التسليم بالنتائج المتوصل إليها.

ومن الأمثلة التي أورداها لنا عن ذلك في الحجاج قولهما: «إذا قلنا: هيا بنا للنزهة لأن الطقس جميل»، أو قلنا: "الطقس جميل فلنخرج للنزهة" فتكون الحجة ق1: هي "الطقس جميل"، والحجة ق2 هي: "فلنخرج للنزهة" فالنتيجة الضمنية غير المصرح بها هي ق..، شريطة أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلاً يسير المنال، ويتمثل ذلك في الحوار الآتي:

- السؤال: هل ترافقني لمشاهدة هذا الشريط السينمائي؟.

- الجواب: لقد شاهدته.

فالجواب المصرح به "لقد شاهدته" يعتبر دليلاً مؤدياً بالضرورة إلى

الجواب (الضمني) "لا"³.

يتضح من خلال ما سبق بسطه أن وظيفة الحجاج عندها تقوم على التوجيه "L'orientation" و "و" وأن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم، والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تعد فعلاً قصدياً متميزاً، ويظهر تميز قصدية الجهة الموجهة في أمرين هما:

¹ - النظرية الحجاجية: محمد طروس، ص 106.

² - ق1، ق2 هي عبارة عن حجج، وق1 تؤدي إلى ظهور ق2.

³ - L'Argumentation dans la langue -J.C.Anscombe et Oswald Ducrot-p.163.

عدم انفكاك القصدية عن اللغة وتراتب القصدية " ¹. مع العلم أن الحجة لا تفارق اللغة، وأن اللغة هي مجال القصدية، وهو ما يؤكد أن الحجاج يكمن داخل إطار اللغة. فعلى مستوى السامع يكون التوجيه بالتأثير فيه، " ومن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي " إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه " ². أما على صعيد الخطاب فيتحقق التأثير من خلال الحجج المتتالية التي تشكل بنية الخطاب، باعتبار أن الحجة الأولى تؤدي بالضرورة إلى الحجة الثانية، والحجة الثانية تؤدي بالضرورة إلى الحجة الثالثة، وهكذا دواليك، ويتجلى الإقناع والتأثير بالتصريح أو بالتضمنين، وذلك ما يفسر سلطة الخطاب الحجاجي الذي يؤدي إلى توجيه المتلقي وإقناعه.

2- الحجاج البلاغي:

هناك من يعتقد أن البلاغة لم يعد يفهم منها سوى وظيفتها في تنميق الخطاب وزخرفته وجماليته ولا علاقة لها بالإقناع يقول محمد الولي " وفي هذه الحالة ما دامت نواة البلاغة الحجاجية قد ألحقت بالمنطق فقد اختزلت البلاغة العامة في صيغتها الأرسطية إلى بلاغة محسنات وزخارف " ³ إن البلاغة من هذا المنظور أصبحت بلاغة محسنات وزخارف واستعارات جمالية. والبلاغة على عكس ذلك فهي ذات صلة وثقى بالحجاج، ووسيلة للإقناع، كما أنها تبحث في استعمال الخطاب من أجل أن يكون مقنعا. كما أن علاقة الحجاج إشكال مثير ومعقد منذ القدم، فقد اهتم به القدامى قبل المحدثين، ونعني بالقدماء فلاسفة اليونان وبالتحديد أرسطو والبلاغيين العرب.

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998، ص 259.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مرجع السابق، ص 444.

³ - محمد الولي: من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، مجلة فكر ونقد، عدد8، 1998، ص 137.

2-1- الحجاج البلاغي من منظور قديم:

نجد البلاغة * الارسطية قد خصصها أرسطو لمجال الإقناع وآلياته حيث تشغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة (المشاورة، المشاجرة والمفاضلة) فخطابة أرسطو قد تضمنت عناصر حجاجية وأسلوبية كما أن أجناسها الثلاثة قابلة لاحتواء أصناف من الخطاب الاحتمالي المؤثر. ويمكن أن نعتبر أن خطابة أرسطو هي البلاغة العامة بالمفهوم الجديد، الذي أصبحت مجالاً خصبا للبحث في الدراسات البلاغية الحديثة. كما نجد المنطلقات والمصادر ومسارات البحث قد تعددت في الدرس البلاغي العربي قديمه وحديثه، وهذا ما أدى بشكل تلقائي إلى اختلاف الرؤى والتصورات، كذلك نجد أن البلاغة العربية أصبحت مستجابة لكل المقاربات الحديثة.

إن المتتبع للدرس البلاغي العربي يجد أن الحجاج جاء في عدة صيغ كالبيان، والمقام

جاء في كتاب " البيان والتبيين " للجاحظ أن البيان هو : " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير حتى يفرض السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع " ¹

وقد استخلص " محمد العمري " في كتابه " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها "، بأن البيان عند الجاحظ اهتم بالفهم والإفهام، فيقول: " مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي: أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها ... فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هما الفهم

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، دت، ص76.

والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة " ¹. وبذلك
فمشروعه البياني ستلخص في نظريتين أساسيتين هما: نظرية المعرفة ونظرية
الإقناع والتأثير. ²

ومن ثم فالبيان هو كل ما يهدف للتأثير والإقناع والاستمالة بما هو معرفي
وإقناعي.

كما نستخلص أيضا أن كلمة " بلاغة " بالمعنى العربي وكلمة " خطابة "
بالمعنى الإغريقي، ظهرت عند الغرب والعرب في حقل واحد وهو الإقناع.
كما تحدث البلاغيون العرب أيضا عن المقام ومقتضى الحال، إذ يقول أبو
هلال العسكري في كتابه " الصنائع " وأعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما
يجب لكل مقام من مقال، فإذا كنت متكلمًا أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض
ما تصلح الخطب أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد فتخط ألفاظ المتكلمين
مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فإن ذلك هجنة " ³

نلاحظ هاهنا أن أبا العسكري ربط المقام بتغيير الغرض المنشود،
فباختلاف الغرض المنشود يختلف المقام، فإذا كانت خطبة فغرضها كما أشرنا
أنفا هو الإقناع وكان المقام في هذه الحالة خطابيا يتمثل في الخطيب
والمخاطبين، أما إذا كان المقام شعريا فغرضه يتمثل في الاستمالة والإثارة، ولكن
يجب أن يستعمل كل من الخطيب والشاعر وسيلة للتأثير وإقناع المتلقي،
فالمقام إذ يهتم بالمتلقي لكونه العنصر الأساسي الذي يتوجه إليه الخطاب أو
الشعر ...

¹ - محمد العمري: البلاغة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999، ص 191.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 194.

³ - أبو هلال العسكري: الصنائع، تحقيق محند البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1،
2006، ص 135.

كما نجد فكرة المقام أيضا في قوله : " ... لا يتكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السواقة، لأن ذلك الجهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام، وأحسن الذي قال لكل مقام مقال " ¹

فهنا ربط المقام بطبيعة الحال، فهاهنا تختلف الصيغة من موضوع إلى موضوع ومن غرض إلى غرض آخر، وذلك لإقناع المتلقي أن لكل مقامه، فلا يجب أن تكلم الملك بكلام السوقي فهذا في مقام وهذا في مقام، لذلك قال " أن لكل مقام مقال ".

كما نجد فكرة المقام أيضا واردة عند السكاكي في مؤلفه " مفتاح العلوم " حيث يقول: " ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يبين مقام الشكاية ومقام التهنية يبين مقام التعزية، ومقام المدح يبين مقام الذم، ومقام الترغيب يبين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يبين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبها مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال " ²

نفهم من كلام " السكاكي " أن المقامات عنده مختلفة، كما أن أشكال الاستعمال اللغوي في مختلف العلاقات الاتصالية تتنوع وتختلف بحسب مقتضيات هذا الاتصال، فمقام المتكلم يختلف عن مقام السامع، وكذلك نجد أن الكلمات مختلفة فكل كلمة قالها تختلف عن الأخرى، وكذلك إختلاف مقام المتكلم، أما أثناء حديثه عن مقام الكلام فكذلك يجب أن يتغير من واحد لآخر فمثلا الكلام مع الذكي يتطلب مقاما معيناً ومع الغبي يتطلب مقاما آخر، لذلك قال " فإذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبها مقام ".

¹ - المرجع نفسه، ص 24.

² - أو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، لبنان، ص 168.

بناء على قضية المقام في الدرس البلاغي فإننا نجد له دور فعال في ممارسة الخطاب الإقناعي، يتوقف على مبدأ لكل مقام مقال، ويحاول الثاني تحديد المقصود بمراعاة الألفاظ للأغراض والمقاصد كما يعلمنا أيضا كيف نتكلم ؟ ولمن نتكلم ؟ وكيف نقنع ؟ وكيف نتخذ القرار، علما بأن الإقناع هو نشاط موجود في فضاءات مختلفة.

كما نجد أيضا أن أقطاب البلاغة العربية القديمة قد وجهوا البلاغة لغاية تأثيرية إقناعية لإقناع الجمهور والتأثير فيه، لذلك نجد البلاغة عندهم " تهدف إلى أمرين الوضوح (الارتجال) والتأثير (النفع) " ¹.

لذلك يتجلى الحجاج البلاغي عندهم بعناصر أساسية، فنجد الجاحظ يعتبر الشاهد عنصرا من عناصر الحجاج ومفهومه مرادف للدليل والبرهان، فالحجاج البلاغي القائم على الشواهد اعتبره الجاحظ دعامة لإرساء الحقائق وصرح للعلم وعلى هذا أكد أن " مدار العلم على الشاهد والمثل " ²

كما نجد أيضا الإيجاز هام جدا في العملية الحجاجية تفطن إليه القدامى لأنه يواجه النسيان وعدم الانتباه، فهو وسيلة للتأثير في المتلقي لأن القصير الموجز انفذ إلى الأسماع وأحسن موقعا في القلوب، فنجد " ابن الرشيق " يقول في كتابه " العمدة " :

" وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال " ³

بعد أن فحصنا بعض الرؤى الحجاجية البلاغية في الدرس القديم لا سيما عند أرسطو وأقطاب البلاغة العربية، لا بأس أن نعرض على بعض الدراسات البلاغية من منظور حديث.

¹ - حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، "مجلة عالم الفكر"، ع1، المجلد 30، سبتمبر 2001، ص 97 - 98.

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، مرجع السابق، ص 171.

³ - ابن رشيق: العمدة، ج1، نقلا عن سامية الدريدي: الحجاج في الشعر، المرجع السابق، ص 123.

2-2- الحجاج البلاغي من منظور حديث:

تفيد عبارة " بلاغة " في الدرس الحديث معنى نسقيا يفيد الحجاج، وهذا المعنى قد استرشد بدراسات معاصرة قليلة وخاصة دراسات " شايم بيرلمان " و " أوليفي رويول " و " محمد العمري " وغيرهم.

ونجد " إيجلتون " قد أشار إلى البلاغة بكونها علما يشمل كل أنواع الخطاب لاسيما الحجاجي إذ يقول: " البلاغة التي كانت تمثل التحليل النقدي الذي تلقاه الناس بدءا من المجتمع القديم حتى القرن الثامن عشر، كانت تفحص الطرق التي تبني الخطابات وفقا لها لكي تحدث أثارا بعينها، ولم يكن ثمة اكتراث بما إذا كانت موضوعات دراستها كلاما، شعرا أو فلسفة، قصصا خياليا أو علما تاريخيا، وقد كان أفقها الذي تتحرك فيه مماثلا لحقل الممارسات الخطابية في المجتمع على وجه الإجماع " ¹

فهذه البلاغة كما أشرنا هي شاملة لجميع الخطابات لاسيما المؤثرة منها، هذه البلاغة هي نفسها التي انتهى إليها كل من " بيرلمان " و " تيتكا ". تتعلق البلاغة عند " بيرلمان " و " تيتكا " بشروط أساسية كان يحصل تفاعل بين الخطيب والجمهور أو بين المحاج والمحجوج، وفي هذا الصدد يقول الدكتور علي الشعبان في كتابه الحجاج بين المنوال والمثال : " الحجاج ليس استدلالا تحليليا يدور في حقل البرهان المنطقي المحض وخارج كل اندراج للذات بل يطلب أمرا آخر معاكسا لذلك تماما وهو وجود العلاقة التفاعلية بين الباث والمتقبل " ²

فمن هنا تفهم بلاغة " بيرلمان " على ضربين أساسيين: الضرب الأول تمثله البلاغة البرهانية، حيث يقوم على البرهنة والاستدلال في المحاجة، كما يشترط العقل كشرط أساسي، كما أيضا يكون جمهوره ضيق غايته بيان الحق.

¹ - حمو النقاري، الحجاج طبيعته ومجالاته ووظائفه، عن محمد العمري: تداخل الحجاج والتخيل، ص 9.
² - د. علي الشعبان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري) ، مسكلياتي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008، ص 16.

أما الضرب الثاني فهو يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دغدغة العواطف والإثارة والأهواء، استنفاراً للسامعين.¹ ونجده قد استنبط كلامه عن البلاغة البرهانية من البلاغة الأرسطية القديمة، كون الخطاب البرهاني القديم اهتم بالاقناع والبرهان، أما الضرب الثاني فهو يهتم بجميع الأشكال البلاغية وعناصرها الأسلوبية التي تؤثر في المتلقي . في حين أن هناك جنسين كبيرين تقوم عليهما البلاغة الجديدة عند الباحثين، فالجنس الأول الوصل وهو شكل إتصالي ويشمل ثلاثة أنماط: الحجج شبه المنطقية، والحجج القائمة على بنية الواقع، والحجج المبنية للواقع، والثاني يسمى الحجج بالفصل.

الجنس الأول: الحجج شبه المنطقية والتي تستمد طاقتها الحجاجية لمشايتها للطرائق المنطقية وهي غير ملزمة وعدم الإلزام هذا هو دعامة أشكال البلاغة، أما الحجج المستندة على بنية الواقع فهي تقوم على ترابطات قابلة للملاحظة كالشاهد والمثل والتمثيل والاستعارة والكناية ...، على غرار الحجج المبنية للواقع والتي تقوم بالربط بين وقائع متعايشة أو متتابعة في حدود ثلاثة تلازمات : التلازم المكاني، والتلازم الزمني، التلازم الرمزي.²

وسوف نحاول إعطاء أمثلة عن هذه التلازمات

- التلازم المكاني: في هذا الحي ذباب كثير، إذن هناك قممات قريبة.
- التلازم الزمني: هذا الشخص يعاني من مرض السيدا، إذن سبقت له معايشة جنسية غير وقائية.
- التلازم الرمزي: هؤلاء المتظاهرون يحرقون العلم الإسرائيلي، إذن هم رافضون للكيان الصهيوني.

¹ - ينظر عبد الله صولة: الحجج في القرآن الكريم، ص 28.
² - عبد الله صولة: الحجج في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 32.

أما الحجاج المفهوم بالفصل فهو " الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة على زوج: الظاهر / الحقيقة، ويتمثل الظاهر الحد الأول والحقيقة الحد الثاني ¹. وقد أعطى المثال التالي: ليس هذا الإنسان بإنسان، فالإنسان في الحد الأول هو الظاهر كما هو معطى مشاهد ومعاين فهو يمثل ظهوره ووجوده في المجتمع، ويمثل الحد الثاني أي حقيقة الإنسان مطلقا وصورته المثلى كما ركزها في عقلنا الدين والأخلاق والثقافة ...

كما حدد الباحثان أيضا ملامح الحجاج بخمسة ملامح رئيسية: 1- يتوجه إلى مستمع 2- يعبر عنه بلغة طبيعية 3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية 4- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية 5- ليست نتائجه ملزمة. ²

فهذه الملامح التي ذكرها الباحثان هي ما تميز الحجاج عن البرهان، إذن فهي غير ملزمة بالصرامة البرهانية، هذا ما يجعل هذه الملامح بلاغية لأن البلاغة لا تقوم على الإلزام.

ونجد " أوليفي روبول " أيضا قد نشر عدة مقالات في مجال الحجاج البلاغي، ومن أهم ما قدمه مقاله المشهور: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ وكذلك مقاله " الصورة والحجة ".

يقول " روبول " في أثناء حديثه عن البلاغة: " ... لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها بالتحديد، بعبارة أخرى ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث : المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج" ³

¹ - المرجع نفسه، ص 33.

² - محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، المرجع السابق، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2005، ص 220.

³ - أوليفي روبول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة محمد العمري ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، المرجع السابق، ص 22.

من خلال كلامه يتبين لنا أنه جمع البلاغة في شيئين اثنين الأسلوب الذي يضيف على الخطاب الجمالية والمتعة ... ، وكل ما هو حاجي يضيف على الخطاب طابعه الإقناعي.

وبهذا فالبلاغة جمال ومتعة بالإضافة إلى الحجاج الذي يهدف إلى الإقناع. يقول " روبول " كذلك أثناء حديثه عن علاقة البلاغة بالحجاج: " لا مفر من البلاغة لأي حجاج دون أن يؤدي ذلك إلى التحريض " ¹ فهنا وحد بين البلاغة والحجاج، فالعناصر البلاغية توفر للخطاب عناصر سحرية وجدانية جمالية، فإذا كانت حجاجا فقد يستطيع المتكلم أن يؤثر في المتلقي وأن يوجهه أن يؤثر في المتلقي وأن يوجهه إلى الوجهة التي يريد. ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أن لا بلاغة بدون حجاج ولا حجاج بدون جمال.

ونجد في مقالة " الصورة والحجة " يطرح تساؤل هل بالإمكان أن تكون الصورة حجة فيقول: " تكون الصورة حجة أو عنصر حجاجي فيبين أن الصور في مختلف أنواعها (صور الكلمات، صور المعنى، صور التركيب ...) تؤدي إلى وظائف حجاجية " ²

فهو يعتبر الصورة حجاجية لأنها تتغير من بينيتها الصحيحة والمعروفة إلى بنية أخرى ومحتوى أخرى كاستعمال الاستعارة والتشبيه والكناية ... كأن نقول مثلا: زيد رجل مغوار وشجاع، زيد أسد هنا نقلنا الصورة من محتواها المعروف إلى محتوى آخر وذلك بتعويضها بغيرها وهو التشبيه.

كما بين أن الصورة في مختلف أنواعها تؤدي وظيفة حجاجية، يقول : " فصور الكلمات تبدو خاصة بالقول الشعري والهزلي ولكنها تلعب مع ذلك دورا

¹ - المرجع نفسه، ص 234.

² - محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مرجع السابق، ص 23.

حاجبياً، في حين تبدو صورة المعنى أو المجازات أكثر ملائمة وقرباً للحجاج، مثل الاستعارة والكناية والمبالغة ... " ¹

وتحدث " بيرلمان " أيضاً عن الصورة، وميز بين الصورة الحجاجية والصورة التحسينية بقوله " نعتبر صورة التعبير حجاجية إذا استتبع تغييراً في الأفق، فبدأ استعمالها عادياً بالنسبة للمقام الجديد، على خلاف ذلك لا يستتبع انخراط المستمع في الشكل الحجاجي، فإن الصورة ستظهر كمحسن، أي كصورة أسلوبية، بوسعها أن تثير الإعجاب، ولكن ذلك يظل في المستوى الجمالي " ² وعليه " بيرلمان " يريد أن يخرج البلاغة من مجالها التحسيني إلى مجالها الحجاجي التداولي، والصور المقصودة عند " بيرلمان " هي نفسها الصور التحسينية الجمالية التشبيه والاستعارة ...، فهو يريد أن يصل إلى فكرة أن هذه الصور الجمالية يجب أن تعمل لغاية حجاجية وليس لغاية جمالية. ومن خلال حديثنا عن البلاغة الحجاجية لا سيما عند القدماء أو المحدثين يمكن أن نخترلها في جملة واحدة وهو أن وراء كل حجاج بلاغة ووراء كل بلاغة حجاج، لأن مدار كل منهما هو الإغراء والإغواء وهذا قصد الامتاع والإقناع معاً.

فبعد هذه الرؤية للحجاج البلاغي، يجدر بنا الحديث عن الاستعارة الحجاجية بكل أبعادها، وذلك لما تلعبه من دور فعال في النظرية الحجاجية.

3- الاستعارة الحجاجية:

جاء في أسرار البلاغة للجرجاني: " إعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل على الشواهد على أنه اختص به حين الوضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير الأصل وينقله إليه نقل غير لازم فيكون كالعارية " ³.

¹ - المرجع نفسه، ص نفسها.

² - محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مرجع سابق، ص 44.

³ - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 28.

فالاستعارة من منظور الجرجاني هي انتقال اللفظ من أصله اللغوي ويجري على ما يوضع له، وهذا ما أشرنا إليه آنفا أثناء حديثنا عن الصورة والحجة عند " روبول " ورأينا أن كل صورة هي عبارة عن حجة، إنطلاقاً من هذا يمكن اعتبار أن الاستعارة عند الجرجاني حجة.

كما يوجد في المقابل تعريف منطقي للاستعارة وهو: " ابدال قد يحصل به اختصار وإيجاز، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له، والأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس، لأن الاستعارة من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس إلا أنه قياس مختزل، وبعبارة أدق قياس إضماري أي قياس حذف مقدمته، وأكتفي بالنتيجة " ¹

مثلاً: إذا قلت عن الشيخوخة بأنها عشية العمر.

فالاستعارة التي في لفظ " عشية " هي في الحقيقة نتيجة لمقدمتين مضمريتين

- المقدمة الأولى: الشيخوخة آخر العمر
- المقدمة الثانية: العشية آخر النهار
- النتيجة الاستعارية: الشيخوخة عشية العمر. ²

فمن خلال هذا المثال يمكن أن نعتبر الاستعارة المنطقية استعارة حاجية لأنها تعتمد على الإضمار من ناحية، فيمكن اعتبار المقدمتين المضمريتين كحجتين للنتيجة المعلنة، كما تعتمد على الإيجاز من ناحية أخرى، وهذا ما نجده في القياس الطبيعي.

كما نجد تقسيمات أخرى للاستعارة، ولكن ما يهمنا كيف تعمل الاستعارة

الحجاجية ؟

¹ - شوقي المصطفى، المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص23.

² - شوقي المصطفى: المجاز والحجاج في درس الفلسفة، مرجع السابق، ص 24.

فبعد القهار الجرجاني يقسمها إلى مفيدة وغير مفيدة فيقول: " فالاستعارة المفيدة تلعب دورا أساسيا في البناء الشعري، ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره، أما الاستعارة غير المفيدة، فهي لا تعدوا أن تكون لاعبا بالألفاظ " ¹ فالاستعارة غير المفيدة تذكرنا بالحديث عن الحجاج عند الفوسفاطيين، الذي كان الحجاج عندهم هو التلاعب بالألفاظ لإقناع السائل، والتلاعب بالألفاظ يدخل ضمن البلاغة الفوسفاطية، ونخلص إلى أن الاستعارة غير المفيدة هي استعارة حجاجية.

ونجد أرسطو كذلك قسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام: الاستعارة الجمهورية والاستعارة الشعرية والاستعارة الحجاجية يقول: " وقد أقمنا هذا التمييز انطلاقا من مقام التواصل اليومي للخطاب، فإذا كان الخطاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجيا وحين يهدف إلى المتعة يكون شعريا، وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديا (متداول)، ومن هنا فالاستعارة الجمهورية تهدف إلى الإبلاغ، والاستعارة الحجاجية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي، في حين أن الاستعارة الشعرية لا تهدف إلا لذاتها " ².

فالاستعارة الحجاجية حسبته تهدف إلى الإقناع، وهذا ما تحدث عنه أثناء حديثه عن الربطورية أو الخطابة، وهي توجيه المتلقي إلى الوجهة التي يريد المتكلم، وذلك للتغيير في موقف وأفكار المتلقي.

فما قاله " أرسطو " يمكن أن نسقطه على نوعين من الاستعارة وهما: الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية، وسوف نحاول أن نفصل فيهما، فأما الاستعارة الحجاجية فهي: " استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة

¹ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص 173.

² - عمر أوكان: اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2001، مرجع السابق، ص 131.

الحاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية " ¹

فالاستعارة بهذا المفهوم تعتمد على مقومات أساسية في العملية الحجاجية كالمستمع والمتكلم والسياق ...، وهذا ما نجده مترصدا في الاستعارة التداولية التي هي: " وسيلة لغوية تواصلية وتفسيرها على مستويين بلاغيين: مستوى التواصل والتفاعل البشري والمستوى الأدبي والفني، وتفسيرها يترتب على عملية الترجمة من الانتقال من سياق التلقي الذي أنتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر، وما يتعلق بذلك من اختلاف السياق الثقافي والاجتماعي " ²

فالاستعارة التداولية بمفهومها العام اعتمدت كذلك على مستويين: مستوى لغوي ومستوى أدبي فني.

من هنا نخلص إلى أن الاستعارة الحجاجية هي جزء لا يتجزأ من الاستعارة التداولية، لأن الاستعارة الحجاجية اللغوية تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، وذلك بحسب السياق ومقصد المتكلم ومقتضيات المقام، وهذا يؤدي إلى فعالية حجاجية أعمق.

أما الاستعارة البديعية فهي: تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء والفنانين اللذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي، والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب " ³

الاستعارة بهذا المفهوم يمكن أن نعتبرها جمالية، يستعملها الأديب أو الفنان كترزين أو تلميع ليظهر في أحسن صورة ومحاولة إخفاء كل العيوب التي يعاني منها كعدم تمكنه من اللغة مثلا، وقصده ليس التواصل والتأثير في مقاصد المتكلمين، بل التفنن في الأساليب والزخارف اللفظية.

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 108.

² - عبد بلع: الرواية التداولية: للاستعارة، مجلة علامات، العدد 23، 2005، ص 99.

³ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص 109.

وبرغم المفارقات والتباينات بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية، إلا أن هناك من يمزج ويقرن بينهما وهو " ميشال لوقرن " Michel Le Guern " في مقاله " الاستعارة والحجاج " إذ يقول: " وهكذا نجد في مقابل الغاية الجمالية للاستعارة الشعرية مطمحا إقناعيا للاستعارة الحجاجية " ¹

فالاستعارة البديعية يمكن أن نعتبرها إقناعية إذا وظفت جمالها وسحرها بالتأثير في المتلقي، وكذلك يمكن اعتبار أن كل استعارة حجاجية هي استعارة جمالية لأن الحجاج لا يكون عار من الجمال، وهاهنا مزجنا بين الجمال والإقناع، ويمكن أن نسقط هذا القول على ما قاله " روبول " أثناء حديثه عن البلاغة الحجاجية، عندما جمع بين كل ما هو حجاجي وما هو جمالي.

وكحوصلة عن الاستعارة وتقسيماتها نخلص إلى فكرة أن كل استعارة بديعية أو منطقية أو حجاجية تهدف إلى أساس واحد وهو الإقناع، وذلك لأن الاستعارة إلى حد كبير هي صورة مجازية، والمجاز في الحجاج كما قال طه عبد الرحمان، " لا حجاج بغير مجاز " ². بالرغم من أن هناك آليات حجاجية أخرى، إلا أننا ركزنا على الاستعارة لكونها الأكثر إنتشارا، والأكثر تناولاً من قبل الباحثين.

الخاتمة:

وبعد هذه المحاولة العلمية آن لنا أن نخلص إلى جملة من النتائج، تعد بمثابة استنتاجات توصلنا إليها من خلال هذا العرض وهي:

1- الحجاج فعل لغوي غائي، يتحقق بين ذوات فعالة ونشيطة، يسعى المرسل من خلاله حمل المتلقي على الإذعان، والسعي إلى إقناعه بشتى الآليات المختلفة حسب المقام.

¹ - سامية الدريدي: الحجاج في الشعر القديم، مرجع سابق، ص 121.

² - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 213.

- 2- محاولة " بيرلمان Perlman " الرائدة سعت إلى إخراج المفاهيم التداولية الحجاجية من صلب البلاغة التقليدية الغربية، وإكسابها طاقة حجاجية، يسعى المحاجج إلى توظيفها في خطابه المتنوعة لتحقيق عملية الإقناع، كالشاهد والمثال والقوة والتناسب. وهو ما أدى به إلى تسمية هذا النزوع بالبلاغة الجديدة.
- 3- الاستعارة والكناية والتشبيه والتمثيل عناصر تكسب القول درجة عالية من الإقناع والتأثير.
- 4- تحوز الاستعارة على مكانة بالغة الأهمية في حقل الدراسات التداولية لأنها تحمل في جوهرها طاقة حجاجية لتحقيق الفاعلية الإقناعية.

قائمة المراجع:

- 1) سامية الدريدي: الحجاج في العشر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيت وأساليبها، عن مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة - بيرلمان وتيتكا ، المطابع الجامعية، ليون، فرنسا، ج1، 1981.
- 2) محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية، دار الثقافة، ط1، المغرب، 2005.
- 3) محمد ولد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط1، ليبيا، 2004.
- 4) عبد الهادي بن طافر الشهري: استراتيجيات الخطاب عن سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي: مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، العدد 62 - 63، ماي 2001.
- 5) المحكم والمحيط الأعظم-ابن سيده- تحقيق: عبد الحميد هندواوي، لبنان، دار الكتب العلمية، مادة (حجج).
- 6) لسان العرب-ابن منظور، لبنان، دار صادر، ط1، المجلد 2، مادة (حجج).
- 7) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صوصة عن Traité de l'argumentation.

- (8) طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998.
- (9) محمد الولي: من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، مجلة فكر ونقد، عدد8، 1998.
- (10) الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ، دط، دت.
- (11) محمد العمري: البلاغة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999.
- (12) أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق نحد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.
- (13) أو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، لبنان.
- (14) حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، ع1، المجلد 30، سبتمبر 2001.
- (15) حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، عن محمد العمري: تداخل الحجاج والتخيل.
- (16) د. علي الشعبان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري) ، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008.
- (17) محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2005.
- (18) أوليفي رويول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟، ترجمة محمد العمري ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول.
- (19) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- (20) شوقي المصطفى: المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005.
- (21) عمر أوكان: اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2001.
- (22) عبد بلبع: الرؤية التداولية: للاستعارة، مجلة علامات، العدد 23، 2005.
- (23) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006.
- (24) أوزوالد ديكر، جان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 2007.

- 25) عز الدين الناجح: العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال دراسة تداولية لسورة الإخلاص، مجلة المجمع الجزائري في اللغة العربية العدد السادس، السنة الثالثة، ذو الحجة 1428 - ديسمبر 2007.
- 26) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، صفر 1413 هـ أغسطس / آب 1992.
- 27) محمد العمري: بلاغة الحوار المجال والحدود، مجلة فكر ونقد.
- 28) الحواس مسعودي: النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة، جامعو الجزائر، العدد شعبان 1420، ديسمبر 1999.
- 29) محمد ولد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط1-2004, www.hadaat.com.
- 30) محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة فكر ونقد: الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، يناير - مارس، 2000.
- 31) صابر حباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الإصدار الأول، 2008.

المراجع الأجنبية:

- 1) L'argumentation dans le discours Ruth Amossy-France- Edition Nathan-2000.
- 2) L'Argumentation dans la langue -J-C.Anscombre et Oswald Ducrot